● الحق ليس له وجود معيَّن ، بل هو كالكلى فى الجزئى :

وتلخيص النكتة : إنه لو عنى به المطلق بشرط الإطلاق فلا وجود له فى الخارج فلا يكون للحق وجود أصلاً ، وإن عنى به المطلق بلا شرط ، فإن قيل بعدم وجوده فى الخارج فلا كلام ، وإن قيل بوجوده فلا يوجد إلا معيناً فلا يكون للحق وجود إلا وجود الأعيان . فيلزم محذوران - أحدهما : أنه ليس للحق وجود سوى وجود المخلوقات ، والثانى : التناقض ، وهو قوله : إنه الوجود المطلق دون المعين .

فتدبر قول هذا فإنه يجعل الحق فى الكائنات بمنزلة الكلى فى جزئياته ومنزلة الجنس والنوع والخاصة والفصل فى سائر أعيانه الموجودة الثابتة فى العدم . وصاحب هذا القول يجعل المظاهر والمراتب فى المتعينات كما جعله الأول فى الأعيان .

* * *

فصل

فى أنَّ مذهب التلمسانى فى الوحدة مخالف لابن عربى والرومى

وأما التلمسانى [1] ونحوه .. فلا يفرِّق بين ماهية ووجود ، ولا بين مطلق ومعين ، بل عنده ما ثَمَّ سوى ، ولا غير بوجه من الوجوه ، وإنما الكائنات أجزاء منه وأبعاض له بمنزلة أمواج البحر فى البحر ، وآخر البيت من البيت ، فمن شعرهم :

---

(١) التلمسانى : هو عفيف الدين سليمان بن على بن عبد الله بن على بن يس ، ولد فى تلمسان عام ٦١٦ هـ ، وقدم إلى الشام مبكراً ، وشغل أحياناً بعض مناصبها ، ولكنه كثيراً ما بقى من غير عمل ، وقد زعم عفيف الدين أنه التمس الخلوة فى آسيا الصغرى أربعين مرة ، كل مرة أربعين يوماً من غير انقطاع - ويشكك الذهبى فى هذه الرواية لأن أيام خلوته تبلغ قياساً على ذلك ١٦٠٠ يوم !! =

البحـــر لا شك عندى فى توحده وإن تعـــدّد بالأمـــواج والزبد

فلا يغرنك ما شاهدتَ من صور فالواحد الرب سارى العين فى العدد

ومنه :

فما البحر إلا الموج لا شىء غيره وإن فرّقته كثـــرة المتعـــدد

ولا ريب أنّ هذا القول هو أحذق فى الكفر والزندقة ، فإنّ التمييز بين الوجود والماهية ، وجعل المعدوم شيئاً أو التمييز فى الخارج بين المطلق والمعين ، وجعل المطلق شيئاً وراء المعينات فى الذهن قولان ضعيفان باطلان ؛ وقد عرف مَن حدّد

= وأشرف التلمسانى زمناً على جباية المكوس ، فلما قدم الأسعد إلى دمشق فى حاشية السلطان المنصور قلاوون طلب إليه أن يقدم بياناً بما فى ذمته ، وكرر الأسعد الطلب فلم يفز بطائل ، فعنف عفيف الدين ، وتميز عفيف الدين من الغيظ وهم بالاحتجاج لدى السلطان على مخالفته الشريعة بتوليته قبطياً أمر المسلمين ، فطيّب خاطره آخر الأمر ، والغالب أنه لم يقدم البيان الذى طُلب منه !!

كان عفيف الدين تلميذاً وفياً لابن عربى ، واعتنق مثله نظرية وحدة الوجود ، ويُروى أنه مَرّ والشيرازى على كلب أجرب ميت بالطريق عند دار الطعم ، فقال الشيرازى له : هذا - يشير إلى جثة الكلب الميت الأجرب - أيضاً هو ذات الله ؟ فقال : « وهل ثَمّ شئ خارج عنها ، نعم .. الجميع ذاته » !! .

وأثر عنه قوله : « القرآن كله شرك ليس فيه توحيد ، وإنما التوحيد فى كلامنا نحن » !!

وبالرغم من أنه كانت تبدو على التلمسانى سمات من الوقار ، إلا أنه كان أبداً موضع الريبة - كما يقول الذهبى - لأنّ أحداً لم يكن يعرف حقيقة آرائه ، بل لقد اتهم بأنه من النصيرية ، والعجيب أنّ شعره كان بليغاً سهلاً عذباً ، ولكنه كان يخفى السم - كما يقول كُتّاب سيرته - وجُمعت أشعاره فى ديوان ، ومن هذا الديوان نسخ بمكتبات المتحف البريطانى ، ومكتبة وزارة الهند ، وبودليانا بأكسفورد وفى غيرها .. وقد نسجت أشعاره فى كثير من الأحيان على منوال الأشعار الصوفية التى تخاطب محبوباً متخيلاً ..

وقد أنس قطب الدين اليونينى بصحبته ، ونسب إليه أنه ادعى الوصول إلى مرتبة العرفان .

وألّف عفيف الدين - علاوة على ديوانه - كتباً فى علوم شتّى لم يبق منها فيما يظهر سوى رسالة فى علم العروض ، وينسب له الذهبى زيادة على ذلك « شرح الأسماء الحسنى » ، و « شرح مقامات النفزى » ، و « شرح فصوص الحكم لابن عربى » ، وتدلنا عناوين هذه المؤلفات على شيوخه .

توفى عفيف الدين التلمسانى بدمشق فى الخامس من رجب سنة ٦٩٠ هـ ، ودفن بجبانة هذه المدينة - (وانظر جـ ١ هامش ص ١١٢ من هذا الكتاب) (البلتاجى) .

النظر أن مَن جعل فى هذه الأمور الموجودة فى الخارج شيئين - أحدهما : وجودها ، والثانى : ذواتها ، أو جعل لها حقيقة مطلقة موجودة زائدة على عينها الموجودة فقد غلط غلطاً قوياً ، واشتبه عليه ما يأخذه من العقل من المعانى المجرَّدة المطلقة عن التعيين ، ومن الماهيات المجرَّدة عن الوجود الخارجى بما هو موجود فى الخارج من ذلك ، ولم يدر أنَّ متصورات العقل ومقدَّراته أوسع مما هو موجود حاصل بذاته ، كما يتصور المعدومات والممتنعات والمشروطات ، وبقدر ما لا وجود له ألبتة مما يمكن أو لا يمكن ، ويأخذ من المعينات صفات مطلقة فيه . فإنَّ الموجودات ذوات متصورة فيه ، لكن هذا القول أشد جهلاً وكفراً بالله تعالى ، فإنَّ صاحبه لا يفرِّق بين المظاهر والظاهر ، ولا يجعل الكثرة والتفرقة إلا فى ذهن الإنسان لما كان محجوباً عن شهود الحقيقة ، فلما انكشف غطاؤه عاين أنه لم يكن غير ، وأنَّ الرائى عين المرئى ، والشاهد عين المشهود .

* * *

فصل

فى أنَّ الحلول والاتحاد أربعة أقسام

واعلم أنَّ هذه المقالات لا أعرفها لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه ، ولكن رأيتُ فى بعض كتب الفلسفة المنقولة عن أرسطو [1] أنه حكى عن بعض الفلاسفة قوله : إنَّ الوجود واحد ورد ذلك ، وحسبك بمذهب لا يرضاه متكلمة الصابئين .

---

(١) أرسطو : (٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م) ، مربى الإسكندر الأكبر ، وتلميذ أفلاطون ، فيلسوف يونانى من كبار مفكرى البشرية ، تأثرت بوادر التفكير العربى بتآليفه التى نقلها إلى العربية النقلة السريان وأهمهم إسحاق بن حنين ، مؤسس مذهب « فلسفة المشّائين » . مؤلفاته فى المنطق والطبيعيات والإلهيات والأخلاق ، أهمها « المقولات » ، « الجدل » ، « الخطابة » ، « كتاب ما بعد الطبيعة » ، « السياسة » ، « النفس » (البلتاجى) .